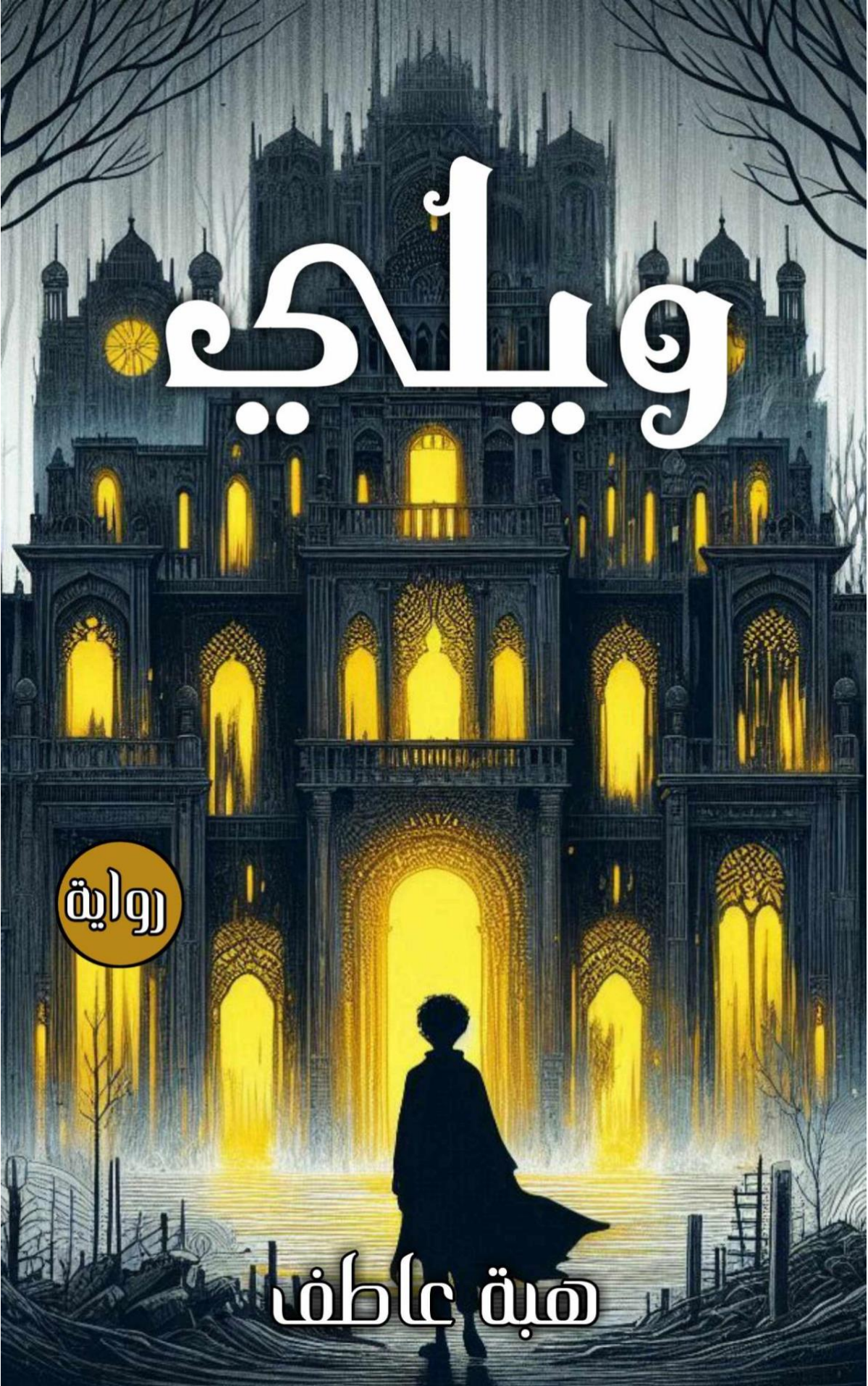


ويلي

رواية

هبة عاطف



ويلي...

"جريمة مجهولة المصدر"

نعم، ويلي.

لا تتعجب الاسم يا رفيق.

يتجول صاحب الخمسة عشر عاماً بين ممرات المنزل الخشبي وييده تلك السكين الملوثة بالدماء إثر قتله لصاحب المنزل، الدماء متناثرة بكل مكان والسكين يترك أثره على تلك الجدران المزعجة بالنسبة له.

مر يومان ولم يعلم أحد بما جرى إلا عند انتشار رائحة الجثة في أنحاء الحي، المعروف عن السيد «يان» أنه رجلٌ قاسي الطباع لا يتبسم بوجه أحد ويصرخ بهم إذا ألقوا التحية عليه حتى.

انزعج الجيران من الرائحة، فما بال السيد «يان» هذة الأيام؟ كانت هناك رائحة بالفعل قد اعتادوا عليها من المنزل لكن لم تكن بهذا السوء!

أتى أعضاء من الشرطة للحديث مع السيد «يان» عن مشكلة الرائحة التي تبعث من المنزل، لكنهم لم يتلقوا أي ردٍ من السيد «يان» أو من غيره.

قرر الشرطيان بعد ضغط من الجيران كسر الباب والدخول، كانت المنزل ذو ممر طويل مظلم بالفعل، حاول الشرطي «مارك» العثور على لوحة الكهرباء لكنه وجد أنها معطلة... أشعلت الشرطة المصباح ورأت جثة مرمية في نهاية الممر.

فزع الشرطيان وتم الإبلاغ عن حاجتهم للدعم، تقدم الإثنان نحو الجثة المتعفنة، لكن ما لفت انتباههما هو صوت البكاء الصادر من الظلام... تقدمت الشرطة «ماري»

وبيدها ذلك المصباح ذو الضوء الخفيف، لتقع عيناها على ذلك الجسد الهزيل...
تقدمت منه أكثر لتظهر معالم وجهه أكثر، بدا وكأنه طفلٌ لم يتخطى العاشرة من
عمره، يضم قدميه إلى جسده ويرتجف باكيًا.. يده مجروحة من الأعلى... تقدمت
الشرطية لتربت على رأسه بهدوء ليتراجع جسده مع إزدياد إرتجافه.

قالت «ماريا» بلطف:

- اهدأ، أنا هنا لمساعدتك.

تحدث الآخر بتلعثم، فيبدو أنه لا يجيد الحديث:

- و..ويلي ..خ ..خائف.

قالت «ماريا»:

- إذا اسمك ويلي، اسمك جميل، ماذا تفعل هنا؟

- لا أعلم.

رفعت ماريا وجه الصغير الذي أمامها.. بدا مليئاً بالكدمات الزرقاء، وبعض الخدوش
الدائمة.

استنتجت ماريا أن الطفل لا مأوى له، وأنه دخل من النافذة كونها كانت مكسورة
والزجاج حوله.. لتحاول تدارك الموقف فلا يمكن لطفل كهذا قتل رجلٍ غليظ كالسيد
يان!

ماريا: سيأخذك مارك معه، كن فتاً لطيفاً لحين إيجاد مأوى لك.

حسناً الآن يتمسك ويلي بمارك ولا يريد تركه..

- يا صغير اهدأ، لا بأس لا شيء مخيف.

قالها «مارك»، لكن ظل الصغير خائفاً من وجوه الناس الغرباء الذين التفوا حوله، بالنسبة لهم فهذا الطفل ليس غريباً، إنه ويليام الذي تبناه السيد «يان» ولكن بعد عامين تمت جنازته ودفنه.

اقتربت سيدة عجوز من الشرطي الذي يحمل «ويليام» وهي تحديقاً بالصغير، لتتحدث السيدة بعد فترة من التحديق بهم، وقد توتر مارك بالفعل وظهر توتره على وجهه:

- صغيري ويلي، لِمَ أنت خائف؟

تعجب مارك من معرفة السيدة العجوز للفتى الذي لوهلة اعتقدوا أنه بلا مأوى. نظر «ويلي» للسيدة العجوز، كانت التجاعيد تملأ وجهها ولكن كانت لديها إبتسامة حنونة... نطق «ويلي»:

- الجدة؟

أنزل «مارك» الصغير على الأرض ليتلاقى وجهه مع أشعة الشمس عندما نظر للسيدة.

ربتت السيدة على رأسه ليرتمى بحضنها.

قال لها «مارك»:

- سيدتي هل تقربين له؟

أشارت السيدة للشرطي «مارك» بالسكوت الآن، فمن أمامها الآن من المفترض أنه ميت وتم دفنه!

نطق «ويلي» أخيرًا بعد عناق طويل:

- أين أمي؟

ربتت السيدة عليه قائلةً:

- أمك في مكان آخر يا عزيزي، أين كنت طوال الوقت؟

رد «ويلي»:

- كنتُ بالداخل، كنت نائمًا

ربتت السيدة عليه واقترب «مارك» منهم رادفًا:

- هيا أيها الصغير لآخذك لتجد ملجئًا لك.

تمسك «ويليام» بالجدة أكثر، فهو الآن لا يريد تركها، عيناه الذابلتان بسبب عدم رؤيته للضوء، ملابسه بالية ومهترئة، بنطاله ممزق من الأسفل، حتى معطفه ممزق، يظهر ظهره من تلك الثقوب وقد كان جسده هزيلًا بالفعل.

نزل «مارك» لمستوى الصغير وسأله:

- هل كنت تعيش هنا؟

هز «ويليام» رأسه وأخرج «مارك» المفكرة الصغيرة والقلم وبدأ يدون ما يقوله «ويليام».

بعد عدة دقائق تعالت أصوات سيارات الشرطة والمحققين واقتحموا المنزل ووضعوا شرائطهم الصفراء حول سياج الحديقة.

أصبح الوضع موتراً للجميع بخروج «ويليام» من المنزل وبمجيء الشرطة، تمسك «ويليام» بالجدّة أكثر فهو مرتبك مما يحدث.

ذهب «مارك» بعيداً مع «ويليام» والجدّة ..

قال «مارك»:

- سيديتي.. سنتحدث لاحقاً، أرجوك ليكن الطفل أمانة لديك.

قالت الجدّة «أتانيا»:

- لا تقلق، كنت مربيته لأعوام.

ذهب «مارك» سريعاً لأخذ شريكته «ماريا»، دخل للمنزل ووجدها تقف مع اثنين من الرجال يفوقونه حجماً، يرتدون بذلات سوداء والنظارات السوداء وتلك السماعات بأذانهم، كانت تتحدث معهم بعيداً عن الجثة المرمية على الأرض، دقائق وقد دوى صوت صافرات الإسعاف في الخارج.

دخل طاقم الإسعاف وحملوا جثة السيد «يان» بعدما حدد المساعد موضع الجثة على الأرض الخشبية.

اقترب «مارك» من «ماريا» وقال:

- «ماريا».. أريدك على انفراد.

استأذنت «ماريا» واقتربت من «مارك» فقالت:

- ما الأمر؟

أجابها «مارك»:

- الطفل هو ابن السيد «يان».

ردت «ماريا»:

- كيف؟ السيد «يان» لا يملك أي أطفال بعد موت طفله وزوجته في الحادث منذ خمس سنوات.

قال «مارك» بارتباك:

- لا أعلم، لكن الطفل مع السيدة العجوز، كان يناديها «أتانيا».

قالت «ماريا» في دهشة:

- السيدة أتانيا!

رد «مارك»:

- نعم، لم أرها من قبل هنا.. لكن أعتقد أنك تعرفينها.

ذهبت «ماريا» وتبعها «مارك» لبيت السيدة «أتانيا»، أدخلتهم السيدة للداخل، كان الصغير يأكل الطعام ببراءة بعدما بدلت السيدة له ملابسه لتدفئه قليلاً.

قالت لها «ماريا»:

- سيدة «أتانيا»، أريد التحدث معك قليلاً على انفراد.. «مارك»، أبقى بجانب الطفل وإياك أن يغيب عن عينيك ولو قليلاً.

جلس «مارك» على الأريكة يناظر الطفل الجالس على طاولة الطعام وعيناه معلقتان على شاشة التلفاز والرسوم المتحركة.

قالت «ماريا» للجدة:

- أهذا الطفل هو حقاً «ويليام»؟

ردت «أتانيا»:

- نعم، بالفعل هو «ويليام»، لكن هو يتذكر ما حدث قبل الحادثة بيوم واحد فقط، يسأل عن أمه طوال الوقت وأخبره أنها في العمل.

سألته «ماريا»:

- كيف! ألم يكن ميتاً؟ ألم يُدفن؟

أجابته «أتانيا»:

- نعم، لكن الطفل لازال بعمره الصغير، لا أعلم ماذا حدث لكنه لا يتذكر شيئاً ولا يتذكر والده.

قالت «ماريا»:

- حسناً، أعتذر على طلبي، لكن نريدك أنتِ والطفل في المركز للتحقيق، وُجد السيد «يان» جثة مُتعفنة في الممر.

في مجلس الشرطة.. تجلس السيدة «أتانيا» والطفل الصغير بجانبها في غرفة مع عدة ضباط ومحقق.

يجلس أمامهم رجلٌ بدي وكأنه رئيس المركز، أردف بسؤالٍ وجهه للصغير:

- هل رأيت والدك؟

قال «ويليام» بغضب:

- ليس أبي! إنه قاتل.
- ماذا حدث؟ أقتل نفسه؟!

رد «ويليام»:

- لا، قتل أمي وأبي.. في السيارة، هو من قتلهم.
- لكننا وجدنا والدك ميتاً اليوم يا فتى! وأيضاً أعتقد أنك ذكي بما فيه الكفاية لتعرف تاريخ موت والديك، أليس كذلك؟

رد «ويليام»:

- الخامس عشر من شهر يونيو عام ٢٠١٩.

- جيد، كم كان عمرك وقتها؟

نظر «ويليام» للرجل ونطق بعد مدة:

- عشرة أعوام.

- والآن كم عمرك؟

أجابه «ويليام»:

- تعال معي للبيت، وسأريك شيئاً.

تعجب الرجل من طلبه لكنه وافق على كل حال، لعل الفتى يعرف القاتل أو يعرف شيئاً عنه.

ذهب الرجل مع «ويليام» والسيدة «أتانيا» مع بعض الضباط الآخرين، دخل «ويليام» في البداية وأشعل الأضواء من مفتاح الكهرباء الآخر، تعجب الجميع من عدم رؤيتهم لهذا المفتاح في البداية.

انتشر الضباط في معظم أنحاء المنزل، وبقي «مارك» و«ماريا» والمحقق مع «ويلي» والسيدة.

قالت «أتانيا»:

- «ويلي»، إلى أين تأخذنا يا صغيري؟

رد «ويلي» عليها:

- جدتي، لا تقلقي، فقط سأريكم شيئاً في غرفتي.

قالت «أتانيا»:

- لكن غرفتك في الأعلى يا «ويلي»، لماذا تأخذنا لهذا؟

قال «ويلي»:

- لا، غرفة «ويليام» هي التي بالأعلى، أما غرفة «ويلي» ففي الأسفل،

و«ويلي» يريدكم أن تروا شيئاً.

أكملوا الطريق معه للأسفل.. كان طابقاً مطابقاً للذي بالأعلى، لم تره السيدة «أتانيا»

قبلاً رغم عيشها هنا لمدة طويلة، لكنه مشابه تماماً للذي بالأعلى غير الغرفة التي

وقف أمامها «ويلي».

قالت «أتانيا»:

- هذه غرفة «ويلي»؟

قال «ويلي» ببراعة وصفق بيديه:

- نعم، غرفة «ويلي»، ماما وبابا ينتظراني هنا.

لحظة صمتٍ مرت على الجميع، وكان الطفل جُن جنونه، قال قبلاً أن والداه قُتلا من قبل السيد الذي وجدناه اليوم والآن يخبرنا أنهما ينتظراه هنا!

فتح «ويلي» الباب وظهرت ملامح الغرفة، بها سرير كبير نوعاً ما، بجانب السرير كانت توجد أدوية كثيرة، دخل «ويلي» قائلاً:

- ماما، لقد أتى «ويلي»، وجدتي تريد رؤيتك، هيا ماما.

اقترب المحقق من السرير فوجد بالفعل أنه السيد «يان» وزوجته «كارينا»، دخل «ويلي» وراءه:

- أنظر، هذه أمي، وهذا أبي.

- صغيري، هما نائمان هيا لنتركهم ونذهب لنعد لك بعض الطعام.

أخذته «أتانيا» وخرج المحقق والبقية، ذهبت «أتانيا» للمطبخ، ولكن دوى صوت صراخها عندما رأت تلك الدماء منتشرة على الأرض!

استيقظت «ماريا» وهي بالمشفى، ظلت عدة دقائق حتى اختفى ذلك الضباب عن عينيها، نظرت حولها لتجد عدة أسرة موجود عليها شريكها «مارك» والمحقق والضباط الآخرين.

فُتح الباب من قبل شخصٍ غير معروف بالنسبة لها، فهي لم تره قبلاً، يبدو وكأنه في الستين من عمره، يرتدي معطفاً أسود اللون طويل، وعكازه الذي يزيد من هيئته، تحدث أخيراً:

- ماذا حدث «ماريا»؟ أين كنتم؟

اشتد الصداع على «ماريا» وهي تحاول التذكر:

- أخذنا الصغير للقبو، قال أنه مكان والداه، بدى أن هناك طابقاً يشبه الطابق العلوي عدا غرفة واحدة، دخلنا إليها لنرى جسدان نحيلان والأدوية بجانبهما والمحاليل معلقة بهما، لم يظهر شيء غير طبيعي على الطفل، وآخر ما حدث هو صراخ السيدة «أتانيا» عندما ذهبت للمطبخ.
- وما سبب الصراخ؟

قالت «ماريا»:

- كانت هناك دماء على الأرض، وجثتان مرميتان.
- والطفل، ألا تعرفين ماذا قال؟

أجابته:

- لا، لا أتذكر، وأيضاً أين «ويليام»؟
- وجدناكم في الحديقة منذ أسبوعين، كنتم كالجثث الميتة، دخلنا للمنزل ولم نجد قبواً ولا أي شيء مما ذكره المحقق منذ اسبوع وأنتِ الآن تقولين هذا الكلام، ألها علاقة بالسحر برأيك؟

قالت «ماريا»:

- لا يا سيدي، لا أعتقد، لكن «ويليام» هذا من المفترض أنه ميت منذ خمس سنوات مع والدته، أعتقد أن الأمر له علاقة بقضية والدته التي أُغلقت على أنها حادث عادي، وقد ظهر الفتى فقط لينتقم لها.

نظر لها الرجل متعجباً:

- أهذا حديث حضرة الشريفة؟ أتظنين أن الأساطير حقيقة؟

أجابت:

- ولمَ لا؟ روح والدته عالقة، وكل الأدلة هنا، الفتى بعمر العاشرة وظهر في اليوم الذي مات فيه، نفس التاريخ، ونفس اليوم، ونفس الساعة، ونفس العمر! لنفترض أنه لم يمت، ألم يكن ليكبر؟ ألم يكن ليتذكر ما يحدث له خلال تلك السنوات الخمس التي مضت؟ وأنا أريد رؤية ملف قضية والدته، فالأمر ليس عادياً، وأيضاً أين الصغير أيها السيد؟

- اسمي...«جلال»، السيد «جلال» رئيس المركز.

قالت:

- حسناً سيد «جلال»، لتجب عن سؤالي، أين الصغير؟

أشار «جلال» نحو النافذة، لتنظر «ماريا» واجدةً الصغير يلهو مع الفراشات بين الزهور في حديقة المشفى.

قال «جلال»:

- إذا كنتِ تريدين ملف القضية، فهذا ممنوع، وفقاً للقانون فمن الممنوع فتح ملف قضية من النوع "المجهول"، وهذا الطفل سيترحل غداً للملجأ.

قالت:

- لكن، الأدلة كلها أمامنا، لمَ لا نحلها؟

أجابها «جلال»:

- الأمر خطير يا «ماريا»، كل من حاول حلها تم قتله بطريقة بشعة، إذا كنتِ لا تريدين حياتك، ستجدينني في مكتب مدير المركز.
هب الرجل خارجاً من الغرفة تاركاً ورائه تلك التي تتخبط الأفكار برأسها.

قررت «ماريا» الذهاب للخارج لسؤال «ويلي» عما حدث... نادته:
- «ويلي».

اقترب الصغير منها وهو يميل برأسه وينظر لعينها:
- ما الأمر؟

أردفت «ماريا» بعدما غيرت خطتها:

- لدي عائلة في الجبل سأذهب لرؤيتها قريباً، هل تأتي معي؟
صاح ويلي في سعادة غامرة ارتسمت على وجهه البريء.

ابتسمت «ماريا» لتدخل وهي تمسك بيد الصغير وتحكي له عن الجبل والمشاهد هناك.

مر يومان على خروجهم من المشفى، وهم الآن بالقطار ويجلس «ويلي» بجانب «ماريا» وهو ينظر من النافذة مستمتعاً بهذا، أما «ماريا» فكانت تفكر بكيفية حل تلك القضية، الصغير لا يتذكر شيئاً، كل ما يقوله أنه كان مع والدته يلعب معها بالحديقة لكنها ذهبت، وماذا إن كان طفلاً عادياً متأثراً بالصدمة فقط لا غير؟ لكن كيف قُتل «يان»؟

حتى كل شيء بالمنزل لم يكن عليه سوى بصمات «يان» فقط!

توقف القطار مسبباً توقف تفكير ماريا، نظرت للصغير الذي كان يبتسم وهو سعيد بزيارة الجبل، ذهبت وهي ممسكة بيده ومارك حاملاً للحقائب ورائهم والسيد جلال ينظر له بإبتسامة ويتركه ويذهب ليتنهد مارك مما يفعله، أهو خادم لديهم؟

صاح «مارك»:

- «ماريا»، لِمَ حقائبك كثيرة هكذا!

ردت «ماريا»:

- ما شأنك؟ قم بمهمتك أيها الشاب.

ضحك «ويليام» عليهم، وظل الطريق بمشاجرات «ماريا» و«مارك» ونظرة «جلال» ل«لمارك» لإغاضته وضحك «ويليام»، أما عن السيدة «أتانيا» فرفضت المجيء كون السفر سيتعبها.

وصل الجميع عند سلم طويل... ليتوقف «مارك» وينظر لهم وللسلم و«ويلي» قام بالقفز وصعده الدرج بحماس شديد، أما «ماريا» فحملت عن «مارك» بعض الحقائب وصعدت وراء «ويليام» كي لا يضيع.

وصلوا أخيراً لقرية صغيرة مكونة من مباني خشبية... لتجد مجموعة من الأطفال يندفعون معانقين «ماريا» وهي ترحب بهم جميعاً.

قال «جلال»:

- هذه إذأ عائلة «ماريا»؟

أجابه «مارك»:

- نعم سيد جلال، إنها عائلتها، ألا ترى تشابههم؟

قال «جلال»:

- بلى.

«مارك»:

- حسناً سأرتاح هنا.

لينام «مارك» على الأرض غير آبه لشيء.

قال له «جلال»:

- والحقائب سيد «مارك»؟

رد «مارك»:

- لا تخف، لن تُسرق، كلهم عائلة «ماريا»، «ماريا» هي الحفيدة الكبرى لهذة العائلة الكبيرة.

تعجب «جلال» من الوضع، فتبدو العائلة كقبيلة كبيرة بالفعل.

قال «ماريا»:

- «ويليام»، هيا بنا.

ذهب «ويليام» مع «ماريا» ممسكاً يدها، تعرّف السيد «جلال» و«ويليام» على عائلة «ماريا» وبقى الصغير يلعب مع الأطفال.

حل المساء فطلبت «ماريا» الجلوس مع والديها بمفردها.

أردفت «ماريا» بادئة الحديث:

- أمي، أبي أريد الذهاب لكاهنة القبيلة.

عقدت ملامح الأب متعجباً من طلب ابنته، أما الأم فصرخت بها:

- ما دافعك للذهاب لها؟ ألا يكفيك ما حدث بسببها؟

استجمعت «ماريا» شجاعتها وهي تحاول أن تشرح لوالديها:

- انظرا، ألم يكن هناك أسطورة قديمة تنص على أن الأرواح التي تم الغدر بها

ولم يُؤخذ بثأرها تعود مرة أخرى؟

أردف الوالد متجاهلاً ذاك الذي يستمع لهم من خلف الباب وكأن لا أحد يراه:

- وما الأمر يا «ماريا»؟ أنتِ قلتها بنفسك أسطورة.

قال «ماريا»:

- لكن يا أبي، ليست أسطورة، أنه موجود ويريد الثأر له ولوالدته.

ساد الصمت لعدة ثوانٍ في الغرفة بينما تقدم الصغير جالساً أمامهم:

- أرجوكم، أنا بحاجة للمساعدة هنا، فقط أريد معرفة الطريقة، وأقسم لكم لن

تتم آذية أحد منكم.

كان صوت الصغير كصوت رجلٍ بالغ، صوته هاديء وبه نبرة من الترجي لهم

لمساعدته فقط.

وقف الأب ناظراً «لماريا» وللصغير المترجي له ليردف بهدوء:

- إتبعاني.

نظر «ويليام» «لماريا» بسعادة فقد وافق والدها على مساعدته، وقف «ويليام» يتبع والد «ماريا» وماريا بجانب «ويليام»، مر الوقت دون حديث أي منهم ليقطع ذاك الصمت سؤال سأل «ويليام»:

- سيدي أردت سؤالك عن سبب رفضك؟

- لأن الكاهنة ستؤذينا بأي طلب نطلبه منها، هذا عقد عُقد منذ قرون بيننا وبينها، لكن مادامك وعدتنا بعدم أذية أحد، فلن أمنعك من الذهاب لها بمفردك.

ليقف الرجل مشيراً بيده على كوخ يبدو مهترئاً وقديماً ومعزولاً عن باقي الأكواخ بالقرية:

- أنظر، هذا هو الكوخ المعزول، يمكنك الذهاب بمفردك لطلب المساعدة منها، لكنك لست ضمن مسؤوليتنا.

نظر «ويلي» لـ «ماريا» لتتنهد وتنفي برأسها، فهي ليست على استعداد لخسارة عائلتها كاملة.

تنهد «ويلي» وتقدم بخطواته حتى اقترب من كوخ الكاهنة، فُتح الباب ودخل «ويلي»، المكان مظلم، فقط تملأه الشموع بكل مكان، تجلس في وسط الكوخ سيدة جميلة ذات شعر أسود تعطي ظهرها للطفل غير معلنة عن ملامح وجهها.

يتقدم «ويلي» وهو يخرج سلسلة والدته التي كان يرتديها ليضعها على الأرض مردفاً مع حركته:

- أريد مساعدتكِ للثأر لأمي، أيمكنكِ فعلها؟

بقى الوضع صامتاً لخمس دقائق، السيدة جالسة بمكانها لم تتحرك لكن «ويلي» يعلم أنه ليس عليه الاقتراب إلا عندما يُسمح له، بعد عدة دقائق رفعت السيدة الشمعة من يدها معلنةً موافقتها لمساعدة الصغير، تقدم الصغير منها لتنظر له السيدة، كانت شابة ذات شعر أسود وعينان عسليتان لكن فستانها كان قديماً تملأه الرقعات الصغير.

- إذا أنت تريد الثأر لوالدتك فقط؟ أم لكلاكما؟ أم لكلاكم أيها الصغير؟

أجابها «ويلي»:

- أريد الثأر لي ولأمي، أبي قد اشترك مع عصابة حقيرة لقتلنا، أنا أطلب مساعدتك لتدليني عليهم.

- وما المقابل؟

قال «ويلي»:

- أياً ما تريدينه.

تقف السيدة ذاهبة لغرفة أخرى ليتبعها الصغير وبيده سلسلة والدته حتى وصل للغرفة ليحدها على الأرض جالسة ومعها شمعة أخرى قد أشعلتها لتردف للصغير:

- لا أريد منك مقابل سوى أن تجعل أهل تلك القرية يتركونني أعيش بينهم،

هذا طلبي وبالمقابل سأساعدك أيها الطفل «ويلي».

قال «ويلي» بصدمة قد تخطت ملامح وجهه من طلبها الغريب:

- لكنني وعدتهم بعدم أذيتهم، أرجوك أي شيء آخر؟

- هل زرعوا برأسك أني من يؤذيهما أيها الصغير؟

أجابها «ويلي»:

- نعم ولكن ما قصتك؟

- تعال غداً ومعك السيد «جلال»، لن أخبرك بشيء إلا بوجوده.

قال لها «ويلي»:

- لكن الوقت يداهمني.. أرجوك.

- هذا كلامي، أخرج.

ليعبس الصغير متنهداً ويخرج من الكوخ متدني الرأس تعيساً على حظه البائس،

يمشي باتجاه «ماريا» ووالدها كونهما انتظراه في نفس المكان، يصل إليهما

لتنخفض «ماريا» لمستوى الطفل:

- ما بك عابس هكذا؟

أجابها «ويلي»:

- لم ترضى إخباري بشيء سوى بحضور السيد «جلال» غداً.

قالت «ماريا» بتعجب، فما علاقة «جلال» بهم؟:

- وما شأن السيد «جلال»؟

رد «ويلي»:

- لا أعرف، أخبرتني أنها تريد الحديث معه، أو أن تعيش بينكم كما السابق،

لكني لم أفهم شيئاً مما قيل .

قالت «ماريا»:

- لا بأس «ويلى»، هيا لنعد للمنزل.

لتحملة «ماريا» فيغفو الصغير بحضنها وتعود هي ووالدها ليقابلهم «مارك»
والسيد «جلال».

ليردف «جلال» بقلق وهو يرى الصغير بحضن «ماريا»:

- ما به؟ وأين كنتم؟ هل أصابه مكروه؟

أجابته «ماريا»:

- لا يا سيدي، هو بخير فقط، لندخل أولاً.

قرر «جلال» إعطائها فرصة للتحدث عندما وضعت الصغير على السرير لينعم بليلة هادئة؛

- ذهب للكوخ بمفرده، فالعقد بيننا وبينها لا يسمح لنا بالذهاب أو طلب

شيء منها، لن أضحى بعائلي بأكملها، لكنها أخبرته أن يأتي مع السيد

«جلال» غداً كونها لن تتحدث إلا بوجوده. ثم أكملت حديثها ناظرةً «لجلال»:

سيد جلال، ألك علاقة بما يحدث؟

تنهد «جلال» وكان حملاً ثقيلاً على قلبه:

- ليس لي علاقة بشيء، سوى أن ويلى هو ابني، جسده لم يُدفن، هو حي

لكنه فاقد للوعي بالمشفى، انتشلت جسده من الحادثة، لا أعلم حقاً ما

تريده مني تلك الكاهنة، لكن سأذهب كون الأمر يتعلق بإبني.

قالت «ماريا» بدهشة:

- لكن الفتى ابن «يان»!

أجابها «جلال» بغضب:

- ليس ابن «يان»، «يان» رجلٌ قاتل، قتل زوجته وابنها للحصول على المال لا أكثر.

ثم رفع أكمام قميصه ليظهر طرفان صناعيان ليكمل حديثه:

- هذا ما حصلت عليه عندما حاولت الأخذ بثأرها، وهذا أيضاً حصلت عليه.

ليخرج صورة «لويلى» وهو بالمشفى جسده تملأه الأجهزة التي تبقى على قيد الحياة لوقت أطول.

قال «جلال»:

- أترين يا «ماريا»؟ هذا ما قصدته بحدوث أشياء سيئة لكل من حاول حل تلك القضية المشؤومة، هل أخبرك بشيءٍ آخر؟ جميع القوات التي كانت معي ماتوا وقتها، وأنا خرجت بهذا.

حل الصمت في جميع الأنحاء فلا يوجد رد مناسب لهذا الموقف، ليقطع الصمت قول «جلال»:

- «ماريا»، أريدك أن تعرفي أن عائلتك هي التي آذت تلك السيدة، هي لم ترتكب أي شيء تجاهكم.

قالت «ماريا»:

- ما قصدك بهذا؟ أتريد مني أن أضحي بعائلتي لأجلك أنت وابنك؟

ليرد «جلال»:

- لا أقصد هذا، جميعكم تعلمون تلك البنود التي بالعقد، لكن أكان لأحدكم أن سمع القصة الحقيقية قبلاً؟

تحدث «مارك» أخيراً بعد فترة سادها الصمت وعيناه معلقتان على نافذة الغرفة:

- سيد جلال، أنت تعلم القصة الحقيقة من شبيهة السيدة «أتانيا»، أليس كذلك؟

لتنظر له «ماريا» والصدمة والغضب يعترياها:

- ما الذي تقوله أيها المعتوهان؟

ليجيب «مارك»:

- شبيهة السيدة «أتانيا» كانت تنظر لي من خارج النافذة، سيد «جلال»، هل

جئت هنا قبلاً؟

فرد «جلال» على سؤال «مارك»:

- نعم، فعلت كل هذا لكنها طلبت مني وقتها انتظار الصغير ليأتي بنفسه.

قالت «ماريا»:

- ولماذا لم تأتي اليوم بما أنك تعلم أن الذي هنا ليس بشرياً مثلنا؟

أجابها «جلال»:

- لم أكن أعلم أنه سيذهب اليوم، هيا لننم وفي الغد نذهب لها، ووعدٌ مني يا

«ماريا»، لن يتأذى أحدٌ ممن عائلتك.

قالت «ماريا»:

- لكني أريد معرفة القصة الحقيقية، كل ما قاله جدي وقتها أنهم عزلوها
كونها كانت تحب أكل اللحم البشري!
فرد عليها «جلال»:

- لم تكن كذلك، كانت فتاة تعيش بينكم، تزوجها جد جدك يا «ماريا»، كانت
تحب القبيلة لكنها كانت مختلفة عنكم، ولم يكن من عادتكم الزواج من
خارج القبيلة، وهذا ما أدى لغضب شيوخ القبيلة وما زاد غضبهم وقت ما
حبلت تلك الفتاة وكون زوجته الأولى لم تكن قادرة على الإنجاب، أتدرين ما
فعلته الزوجة الأولى يا «ماريا»؟

نفت «ماريا» برأسها «وجلال» قد اتخذ بجانب «ويلي» مكاناً له ليكمل:

- انتظرت حتى تلد السيدة الطفل لتقوم بلصق تهمة لها بخيانة زوجها وخيانة
القبيلة مع قبيلة أخرى، وبالطبع شيوخ القبيلة صدقوا ابنة قبيلتهم ومهما
حاولت السيدة الدفاع عن نفسها لم يصدقها أحد سوى زوجها، لكن لم يكن
بيده حيلة لإنقاذها هي والطفل سوى تهريبهم لكن صحتها لم تساعدها،
ليتم إعدامها هي والطفل الصغير بالحرق، وأعتقد أنك تعرفين هذا القانون
يا «ماريا».

ليتمدد «جلال» بجانبه ابنه الذي تمسك به معطياً ظهره «لماريا» «وماريك» غير
سامحاً لأي منهما بسؤاله عن شيء، ليذهب «مارك» وينام على السرير الآخر لتخرج
«ماريا» من الغرفة، فما هذه اللعنة التي جلبتها لقبيلتها من أجل مساعدة شبح!

مر النهار و«ويلي» جالس مع السيد «جلال» يُحدثه عن ما قالتها السيدة «ومارك» بالخارج جالس مع «ماريا» التي لا تتحدث وكل تفكيرها فيما أخبرها السيد «جلال» أمس، مر الوقت وقرر «ويلي» الذهاب مرة أخرى مع السيد «جلال» كما طلبت السيدة منه البارحة، دخل الإثنان الكوخ للسيدة ليجدا السيدة جالسة في منتصف الغرفة وأمامها مهد لطفلٍ تهدهده وتغني له، ليضع «ويلي» السلسلة على الأرض. لترد السيدة:

- أتيت مع والدك أيها الصغير، أنت فتى صالح حقاً.

قال «جلال»:

- «أتيانيا».

- لازلتي تتذكر اسمي سيد «جلال» منذ خمس سنوات، أنت تعلم طلبتي مسبقاً وسأساعدك.

قال «ويلي»:

- لكنك من أخبرتني أن السيد «جلال» عندما يأتي ستساعديني، لا تفسدي وعدك.

قالت «أتيانيا»:

- سأفي بوعدك لك أيها الصغير، لكن ساعدني أنت أيضاً.

رد «ويلي»:

- وماذا تريد مني؟

قالت له:

- على الطاولة التي بجانبك عقد مكتوب على الورق، أحرقه وسأساعدك.

يذهب «جلال» ممسكاً العقد ليخرج ولاعته الخاصة بسجائره ليضغط عليها لتشتعل النيران بالورقة، لتقف السيدة معطيةً إياهم ملفات تدل على مكان العصابة، لتختفي بعدها هي والطفل راحلةً لعالمها بعد جلوسها عدة قرون حائرةً بين العالمين.

ليخرج «جلال» وبيده «ويلي» والأوراق ليبدأ الكوخ بالإنتهيار معلناً عن ذهاب «أتيانيا» وطفلها لعالم آخر.

عاد «جلال» ومعه الأوراق «وويلي» ليقابلهم «مارك»:

- أنتما بخير؟

قال «جلال» بإبتسامة:

- نعم، وها هو الدليل، سنعود اليوم لمركز الشرطة.

لتتقدم «ماريا» قائلة:

- أنا من بدأت حل القضية وأنا من سينهيها يا سيد «جلال».

ليومئ «جلال» ويحمل «ويلي» ويذهب للغرفة ليأخذ حقيبته وحاجياته، ليخرج

من الغرفة و«ويلي» نائم على كتفه، ليقابله والد «ماريا»، ليردف «جلال»:

- كنت قد وعدتكِ بعدم آذية أحد منكم، وها قد وفيت بوعدتي.

ليعود «جلال» والبقية بالحافلة للمركز ليبدأوا بحل القضية واتباع الأدلة للقبض عليهم بالإستعانة بالمحققين الباقين والضباط اللذين كُلفوا بقضايا أخرى تتعلق

بتلك العصابة، ليتم إرسال رسالة من ضابط يدعى «أمين» للسيد جلال بكونه أخيراً قد عرفوا مكانهم، ليرسل الموقع له لتبدأ القوات بالتحرك هاجمةً على مكانهم والقبض عليهم.

ليذهب «ويلي» للسيد «جلال» في المركز وهو يرى أعضاء العصابة لينظر له «جلال» بابتسامة:

- هل أنت سعيد الآن «ويليام»؟

قال «ويلي»:

- نعم، وأمي أيضاً لكنها لازالت مكانها، وهي تتألم يا أبي.

قال «جلال»:

- لا تقلق سترتاح قريباً يا بني.

لتمر الأيام باستجواب الضباط لهم ويتم إعدام القتلة والقضاء على جذر العصابة.

لتذهب أخيراً روح والدة «ويلي» لعالمها مرتاحة.

ليأتي اتصال «لجلال» من المشفى ليذهب مسرعاً تاركاً ورائه أعماله والجميع في

حيرة من هذا الأمر ليصل أخيراً للمشفى بسيارته ليذهب مسرعاً للغرفة التي كان

بها «ويليام» فلا يجده مكانه لينادي عليه الطبيب «حسام» صديق طفولته:

- «جلال»، استيقظ صغيرك وهو بغرفةٍ أخرى يسأل عنك منذ مدة.

قال «جلال» بحماس:

- دلني عليه رجاءً يا «حسام».

رد «حسام» بقهقهة:

- حسناً اهدأ، تعال هنا.

ليذهب «حسام» ممسكاً يد «جلال» ليذهب لغرفة عادية لينظر «ويليام» له ويرتمي بحضنه متذكراً كل شيء حدث:

- شكراً لك يا أبي.

فرد جلال:

- معالج قلبي الصغير.

تمت بحمد الله

هبة عاطف.